ISSN 2170-0796

دور الإنترنيت في نشر الإنتاج الفكري والعلمي للجامعة الجزائرية كتاب " أدوات النص"(1) للأستاذ الدكتور محمد تحريشي نموذجا

مرين محمد عبد الله .ماجستير لسانيات النص . جامعة بشار.

تقوم شبكة الإنترنيت اليوم بتوفير خدمات جليلة ومتنوعة ، لتوصيل العمل الفكري والمعرفي والاكتشافات العلمية إلى عامة الناس وخاصتهم ، خاصة إذا تم استغلالها لهذا الغرض عن قصد ووفق المقاييس والشروط العلمية والعالمية، وعن دراية بأهميتها الكبيرة في العمل التثقيفي وتطوير البحث العلمي ، وتكوين الناشئة المتلهفة والطموحة إلى مستقبل زاهر وأكثر سهولة في تحصيل المعرفة، وإلى مستوى أفضل في كل مناحي الحياة ، فخدمات الإنترنيت متوفرة وفي متناول الجميع ، قراء ومساهمين في ملء فضائها بكل ما يرون أنه يمكن أن يقرّ أو يقدم خدمة ما في مجال ما ، بغض النظر عن قيمته العلمية أو الخلقية، فهي عكس دور النشر والطباعة والإشهار ، لا تتطلب مقابلا ماديا أو معنويا، فهي نشر مجاني وطباعة مجانية وإشهار مجاني، بل وأكثر من هذا سوق ـ قرائية وتجارية ـ تتجاوز كل الحدود الجغرافية ومضمونة بكثرة زبائنها من كل الأذواق والحاجات، فإذا ما استثنينا الأعمال المعروفة والمنسوبة إلى أصحابها، والتي تحترم المقاييس العلمية والقانونية في إصدارها وعرضها، فإن شبكة الإنترنيت فضاء رحب يقبل كل الأعمال ولا يشترط أية معايير أو مقاييس، في عملية إغراق لسوق القراءة والساحة الفكرية والثقافية بمختلف المنتجات ـ بلغة تجارية ـ المهم أنها تنكتب وتنقرئ، وقابلة للعرض في ميدان الإنترنيت، بلا رقيب ولا حسيب، ولا حتى بحيادية أو أمانة علمية في البعض منها، اللهم إلا ما اقتضته الضمائر الحية من رقابة ذاتية ومهنية وسلوكات أخلاقية ومراعاة للمشاعر الإنسانية، وما تتطلبه اختصاصات بعض المواقع والمنتديات، إلى درجة أنه يقبل عرض أعمال دون هوية ولا براءة اختراع أو اكتشاف للمبتدئين جنبا إلى جنب مع أعمال كبار العلماء والمفكرين والفلاسفة والفنانين والمبدعين، أيا كانت طبيعة أعمالهم، فقط على المساهم أو المبدع أن يملك الإرادة في المساهمة وطرح مساهمته وعمله دون أن يزهد أو يحتقر مساهمته، ويسرع في استغلال فرصة هذا الإطار التواصلي والتعليمي اجتماعيا وثقافيا وعلميا، لأن عملية القراءة هي التي صارت تعطي للعمل الفكري والعلمي قيمته أو تلغيها وتسقطه بالكامل، مما يجعل من الإنترنيت إطارا يوفر القراءة ويضمنها لأي إنتاج مهما كانت قيمته ، وكذا محكا حقيقيا لكثير من الأعمال الفكرية والعلمية قديما وحديثا، فكثير من الأعمال التي اعتبرت إلى زمن غير بعيد أعمالا لا تضاهى، من حيث القيمة العلمية والفائدة المعرفية والمستوى الفني، صارت متجاوزة إلى حد ما، من خلال طرحها للرأي العام بجودها في فضاء الإنترنيت، لأنها أصبحت محل تقييم وتقويم ومقارنة وموازنة مع غيرها من الأعمال في شتى بقاع العالم ومن كل الحقب التاريخية ، وأخضعت للتقييم من خلال التقييمات التي تطرحها المواقع الإلكترونية ، بوضع عدادات تحسب عدد القراءات وعدد التحميلات وعدد الإطلاعات و الردود والتعليقات من جمهور الإنترنيت الواسع الذي يشمل جميع الأعمار والأجناس والأذواق والمستويات والاختصاصات، الجادين والعابثين والمثقفين وأنصاف المثقفين والعامة والخاصة، ويتم تقييم العمل بوضع النجوم أمام هذا التقييم، فكثير من الأعمال التي اعتبرت ذات شأن عظيم في زمن ما لم تتعد قيمتها القرائية ومقروئيتها النجمة الواحدة أو النجمتين أو الثلاث، لأنها لا تروق للكثيرين ولا توائب متطلبات العصر الحديث، في حين أن بعض الأعمال الأخرى مستحدثة ـ (بعضها منتج بطرق أقل ما يقال عنها أنها غير مشروعة أو مشبوهة، تعج بالسرقات والاقتباسات، و من أطراف غير معروفة، أو ينظر إليها على أنها مغمورة أو مهمشة أو متهمشة من تلقاء نفسها ولم تبادر إلى التعريف بنفسها وإنتاجها في الإنترنيت، إلا بالصدفة أو عن طريق غيرها) ـ وصلت تقييماتها إلى الخمسة نجوم أو حتى إلى السبعة نجوم، فقيمة الإنتاج الفكري والعلمي مرتبطة كليا في عصرنا الحالي بعملية القراءة، إن لم نقل بكمية القراءة التي يخضع لها أي عمل،لأنها تحدد درجة الاستفادة من هذا العمل أو ذاك والتي يعبر من خلالها (أي درجة الاستفادة) معظم القراء عن آرائهم،إيجابا أو سلبا، ولأن الإنترنيت هي وسيلة العصر الحالي في جميع ميادين الحياة، والأكثر حضورا في ميدان القراءة والمطالعة بالخصوص، فالكتاب أو العمل أو الاختراع المنشور في الإنترنيت أكثر حضورا ومردودا، وأكثر

ISSN 2170-0796

عرضة للقراءة، ولتحقيق فرصة النجاح والبروز والفائدة لقارئه ولمنتجه على حد السواء، من ذلك الذي لا ينشر في الإنترنيت ، ولو كان أكثر منه أهمية وقيمة علمية أو قيمة فنية، لأنه يصل إلى أكبر عدد من القراء ومن كل الأصناف والمستويات والأذواق، ولأن الغرض الأول من أي منتج فكري وعلمي هو أن يقرأ و يفيد قراءه، فكيف يصل العمل الإبداعي إلى أكبر عدد من القراء حتى يحقق الغرض منه؟، إن لم يطرح في الإنترنيت، الوسيلة والفضاء الذي يبحث فيه جميع القراء على اختلاف مشاربهم ومستوياتهم وأغراضهم عن المادة التي تملأ آفاق انتظارهم وتلبي رغباتهم وتسد حاجاتهم الكثيرة والمتنوعة، خاصة وأن " المحتوى المتوافر عبر شبكة الإنترنيت يصل إلى حوالي مائتي مليار صفحة من كل اللغات والثقافات، لا يتجاوز نصيب العرب منها 1 $^{0}/_{0}$ "[2] على الرغم من القيمة الكبيرة للتراث العلمي والثقافي العربي والإسلامي في الحضارة الإنسانية، كما أن ما يعرض من هذا الرصيد الفكري العربي العظيم على شبكة الإنترنيت، يتمثل في معظمه في مواد إعلامية وصحفية وبنود رسمية وقانونية وحكومية، وهو قطرة من بحر، من ما يملكه العرب من رصيد وأرشيف ومخزون فكري وعلمي وثقافي وفني وغيره، والذي يحتاج إلى عملية توثيقه وتصنيفه ورقمنته لعرضه على شبكة الإنترنيت، لتدعم صناعة المحتوى العربي... فما على أسرة الفكر والعلم والثقافة في بلادنا، ممثلة بالخصوص في الجامعة الجزائرية ، إلا بالإسراع في توسيع استغلال خدمات فضاء الإنترنيت، بتكثيف الإنتاج المنشور، وإنشاء المواقع المتخصصة في جميع ميادين البحث وجزئياته المختلفة، و تفعيل دورها، واستيعاب الكم الهائل من الإنتاج المحلي، وتسجيل وحفظ حقوق إصداره ونشره وطبعه، والحصول على الملكية الفكرية له، والتكفل بحل المشاكل القانونية والتمويلية والفنية لإنجاح هذه العمليات، حتى لا يبقى الإنتاج الفكري والعلمي حبيس الرفوف وخزانات المكتبات، التي تراجع دورها في مقابل دور شبكة الإنترنيت في نقل العلم والمعرفة وتخزينها وتسهيل عرضها، وتحيين معارف ومكتسبات الطلبة والأساتذة على حد سواء، مع العمل على ربط الاتصال مع مواقع الجامعات والمراكز والمعاهد الأخرى عبر العالم ، ومع الشخصيات العلمية والأدبية والفنية، والتعريف بها في الأوساط العلمية والثقافية والطلابية، للاستفادة من خبراتها ومستواها العالي، بما يعود على الجامعة الجزائرية بالرقي المعرفي و المصداقية العلمية والمكانة البيداغوجية والتعليمية داخليا وخارجيا، من خلال تبني البحوث العلمية الجديدة ، والكشف والتعرف على التطورات والتغيرات التي تشهدها جامعات العالم، من تطوير في البرامج وآليات التدريس و التكوين ، وتفعيل البحث العلمي والاستفادة منه ، وتسجيل الحضور الكمي والنوعي ، في ميدان البحث الذي صار شديد المنافسة، من أجل احتلال وتغطية أكبر قسط ممكن من فضاء الإنترنيت في هذا الميدان على المستوى المحلي والإقليمي والعربي، ولم لا العالمي ، بالنظر إلى ما نملكه من قدرات وكفاءات وطاقات وغزارة في الإنتاج العلمي والفكري والفني، والعمل على الإسراع في عرض إنتاجنا واستدعائه للظهور من خلال مواقعنا ، للحصول على سبق إصداره ونشره والترويج له والعمل على البحث في ميادين جديدة لعرضها وتبنيها، لتعزيز حضور الجامعة الجزائرية في هذا الفضاء بشكل رسمي من خلال ما تعرضه مواقعها من نشرات وبيانات عن مساراتها العلمية والبيداغوجية والثقافية والفكرية، أو من خلال أعمال أساتذتها وطلبتها التي تعرض فيها والتي تعزز مصداقيتها العلمية وقيمتها ومكانتها محليا وخارجيا، ويكون لكل جامعة جزائرية إضافة إلى موقعها الإلكتروني ، مجلتها الإلكترونية ومكتبتها الإلكترونية وخدماتها الاتصالية والتواصلية ، لعرض إنتاجها ومواقفها وردودها وأحداثها العلمية والفكرية من ملتقيات ومحاضرات وندوات ، وما توصلت إليه طواقمها التربوية ومجموعات البحث العلمي فيها من نتائج وبحوث، ورسائل وأطروحات جامعية، وما تقترحه من مشاريع بحث، فيجد الطالب مادة بحثه متوفرة في محيطه الجامعي ، ويشارك في تفعيلها وعرضها وتعميم الفائدة منها، بدل أن يلجأ الطالب الجزائري إلى مواقع أجنبية تطلب منه التسجيل و كشف أسراره وخصوصياته الشخصية والمهنية، أو تدفع به إلى التحايل والكذب وتبني أسماء مستعارة ومعلومات مغلوطة.... ولأخذ مثال حي على ما يمكن أن يحققه الإنتاج العلمي والفكري الجزائري من نجاح باهر ، من خلال عرضه في شبكة الإنترنيت ، نتطرق إلى ما وصل إليه تقييم كتاب "أدوات النص" للدكتور مُحَمَّد تحريشي من جامعة بشار، وهو أحد الكتب النقدية التي تحظى بالاهتمام الواسع لدى الأوساط المهتمة بالجوانب النقدية والبحث الجاد في المجال الأدبي ، خاصة مع توسع مجالات النقد وتعدد مناهجه

ISSN 2170-0796

و طرقه وتعقد آلياته ، الشيء الذي دفع إلى ضرورة امتلاك الناقد والباحث وكذا القارئ للأدوات و الميكانيزمات الإجرائية للسيطرة على النص وتسهيل حصر ما يحويه من تعقيد في شبكات علائقه الداخلية ومع محيطه الخارجي ، وفك شفراته وتفسير رموزه، وهو ما يجعل هذا الكتاب "خطوة جادة" كما وصفه جميع من عقّبوا بتدخلاتهم على محتوى الكتاب في معظم المواقع والمنتديات والمكتبات التي عرضت الكتاب على شبكة الانترنيت على امتداد الساحة الأدبية ، حيث وفق الكاتب في تشخيص الوضع الأدبي المعاصر وذلك لغياب حصر لمثل هذه الأدوات وافتقار الناقد والباحث لعمل يجمعها في مجالي البحث والنقد، إلى أن ظهر هذا الكتاب لسد هذا الفراغ وفتح الباب على مصراعيه أمام القرّاء لولوج أعماق النصوص وإدراك مقاصدها .

فالكتاب سابقة نقدية من حيث عنوانه ومضمونه، وذلك في تحقيقه لطموحات المبدعين والدارسين، أن جعل بين أيديهم مجموعة من الأدوات الإجرائية جمعت بين ما أسس له الأولون وتوصل إليه المحدثون في استقراء واسع شمل أنواع شتى من أجناس إبداعية مختلفة عبر حقب أدبية تبادلت المواقع في الاهتمام بين الحداثة والتراث ، في الفعل القرائي لتحديد معالم جماليات المقروء الذي يزداد تعقيدا وتنوعا يوما بعد يوم، ويمنح لنفسه قدرة متزايدة على التملص وتلبس المزيد من التجريب والتأويل اللامتناه.

والكاتب بذلك وضع الأصبع على الجرح بتطرقه لكل أنواع البنى في النص التراثي والنص المعاصر، ومستويات النص المختلفة وكذا الخصائص الأسلوبية للنص مستشهدا بنص القرآن الكريم كنموذج ثابت لا تشوبه شائبة، كما عالج جماليات بعض النصوص فيما يشبه المقارنة بين مكوناتها الأساسية كما نظر إليها أهل كل عصر، لتمكين القارئ من أخذ نظرة شاملة عنها ، لتحديد المنطلقات الصحيحة لقراءة جادة تضمن لنفسها الاستمرار والتحصيل المعرفي وترسم معالم نصها مهما كانت درجة تعقيده ، مستفيدة من التراكم المعرفي عبر العصور . هذا الاهتمام الواسع بهذا العمل النوعي دفعنا إلى محاولة الوقوف على المدى الذي وصل إليه اهتمام القارئ العربي عبر شبكة الإنترنيت بمثل هذه الأعمال الإبداعية الجادة ومعرفة نسبة مقروئيته والاستفادة مما جاء فيه من فوائد ومزايا أثرت العمل النقدي والدراسة والبحث الجاد في العالم العربي لأنه صار من المراجع المتصدرة لقوائم كتب النقد العربي، على أشهر المواقع الفكرية والعلمية والثقافية في العالم العربي والإسلامي ، ويكفي أن نذكّر منها على سبيل المثال لا الحصر مكتبة المصطفى الإلكترونية وموقع اتحاد الكتاب العرب وأكاديمية قامات الثقافية وموقع ستار تايمز وموسوعة دهشة وغيرها كثير، فتعددت وتنوعت قائمة المواقع والمنتديات التي نشرت الكتاب مع إظهار نوع الاستفادة منه وعدد مرات التحميل التي خضع لها وشكلها وتقييم ذلك على مستوى كل موقع مع الإشارة إلى الأعداد الهائلة من القرّاء التي اكتفت بالإطلاع على الموضوع، وذلك على الرغم من أن الكثير من المواقع والمنتديات لا يسهل مثل هذا العمل معها إلا بشروط تختلف درجة صعوبتها من موقع إلى آخر، كما أن ردود القراء أجمعت على التنويه بالأهمية الكبيرة لهذا العمل وتثمين ما جاء فيه من مضامين قيّمة . الملاحظ من خلال هذه العملية أن كتاب "أدوات النص" يحظى باهتمام كبير وواسع من خلال تواجده وظهوره في أنواع مختلفة من المواقع الإلكترونية(والتي فاق عددها أكثر من 100 موقع) منها الثقافية و الأدبية والرياضية والمنتديات والملتقيات والاتحادات والمكتبات الإلكترونية وغير الإلكترونية والموسوعات والمعارض والمجلات وكذا المواقع العادية، وهذا كاف لأن يضمن له المكانة المرموقة بين الإصدارات النقدية والفكرية الحديثة ، إضافة إلى أنه يحظى باهتمام القراء والباحثين من خلال العدد الكبير جدا من القراء الذي استفاد من الكتاب بتحميله أو قراءته أو الإطلاع عليه أو التعليق عليه إضافة إلى الأعداد الكبيرة من الزيارات والمشاركات و المشاهدات والتي يظهر من خلال الإطلاع المتوالي على المواقع أنها في ازدياد مطرد يوما بعد يوم، وهو ما يعكس الأهمية المتزايدة لهذا العمل الفكري المفيد في الحياة الفكرية والأدبية والنقدية المعاصرة، وحضور كبير لمؤلفه الدكتور محمد تحريشي ولبلده الجزائر وجامعة بشار التي يعمل بها ،وهو ما يدفع إلى العمل على أن يحذو الجميع حذوه في نشر أعمالهم وبحوثهم حتى تنشر وتقرأ ويكتب لها النجاح نفسه.

المراجع: ـ 1) محمد تحريشي.أدوات النص.منشورات اتحاد الكتاب العرب.دمشق.2000.

ـ 2) محمد محمد عليوة. تحديات إتاحة المحتوى العربي عبر شبكة الإنترنيت.مؤتمر اتحاد شرين العرب.الرياض..ديسمبر2009.

ـ 3) المواقع الإلكترونية التي تعرض كتاب أدوات النص عبر شبكة الإنترنيت.